بسم الله الرحمن الرحيم

بك ألوذ

«تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ...»

اللقاء الثاني عشر

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– عَنِ النَّبِيِّ –ﷺ– قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ**». وفي رواية للبخاري: « **كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ**».

الشرح:

كان النبي –ﷺ– يُكثر من هذا الدعاء، وأمر به أيضاً فدلّ على شدّة أهمّيته، والعناية به لما احتواه من عظيم الاستعاذات، وشمولها، في أهمّ المهمّات، في أمور الدين والدنيا والآخرة، وفيه التعوذ بالله من أمور أربعة: **مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ**

هذا الدعاء يجمع طلب العافية ظاهرًا وباطنًا؛ عافية الجسد، وعافية القلب، وعافية الدين، وعافية السمعة.

هذا الدعاء الجليل من جوامع الكلم التي أوتيها النبي –ﷺ– الذي جمع الاستعاذة من جميع الشرور في الدين والدنيا، فاعتنوا بهذا الدعاء العظيم في ليلكم ونهاركم، وفي سفرك وحضركم، ففيه الخير في الدنيا والآخرة، وحتى تكونوا في حفظ الله وعصمته من جميع شرور الدنيا والآخرة، قال ابن القيم: "إن أعدى عدو للمرء شيطانه وهواه، وأصدق صديق له عقله، والملك الناصح له، فإذا اتبع هواه أعطي بيده لعدوه،

واستأسر له، وأشمته به، وساء صديقه ووليه، وهذا هو بعينه هو جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء".

✍فأول هذه الأمور الأربعة: **[جَهْدِ الْبَلَاءِ]** الاستعاذة بالله من شدّة البلاء ومشقّته، والذي لا طاقة للعبد بحمله، ولا قدرة له على دفعه، سواء كان هذا البلاء جسدياً؛ كالأمراض وغيرها، أو كان بلاء معنوياً؛ كأن يُسلِّط على الشخص من يؤذيه بالسبّ والشتم، والغيبة والنميمة والبهتان، وغير ذلك.

☜فهذه استعاذة من جميع الابتلاءات بشتى أنواعها وأشكالها.

الأول: وجهد البلاء: هو كل ما أصاب المرءَ من شدة ومشقة، وما لا طاقةَ له به، وهو ما يسوء الإنسان من البلايا والمحن التي تنزل به، فكل ما أصاب الإنسان من شدّة المشقّة والجهد مما لا طاقة له بحمله، ولا يقدر على دفعه عن نفسه، فهو من جهد البلاء؛ روي عن ابن عمر: أنه سُئل عن جهد البلاء، فقال: "قله المال، وكثرة العيال".

♦ويدخل في جهد البلاء: المصائب والفتن التي تجعل الإنسان يتمنى الموت بسببها.

♦ويدخل في ذلك أيضا: الأمراض التي لا يقدر الإنسان على تحملها أو علاجها.

♦ويدخل في ذلك أيضا: الديون التي لا يستطيع العبد وفاءها.

♦ويدخل في ذلك: الأخبار المنغصة التي تملأ قلبه بالهموم والأحزان والنكد، وتشغل قلبه بما لا يُصبَر عليه.

📃نعوذ بالله من البلاء الشديد الذي يُجهد النفس ويُضعفها. وفيه إقرارٌ بضعف الإنسان وحاجته الدائمة إلى عون الله، وأن العبد مهما قوي لا يثبت إلا بتثبيت الله. فالاستعاذة هنا طلبٌ للطف الله في البلاء قبل وقوعه، وتخفيفه عند نزوله.

الثاني: الاستعاذة بالله من درك الشقاء، والمراد أعوذ بك أن يدركني الشقاء ويلحقني، وأجرني من أن يلحقني مشقّة، وهلكة في دنياي، في نفسي، وأهلي ومالي، وفي آخرتي من عقوبة وعذاب بما اقترفته بسبب الذنوب والآثام.

✍فهو اسم من الإدراك لما يلحق الإنسان من تبعة، والشقاء بمعنى الشقاوة.

📄قال ابن حجر: "هو الهلاك" وقيل: هو أحد درجات جهنم، ومعناه من موضع أهل الشقاوة، وهي جهنم، وقيل غير ذلك. ⬅والشقاء ضد السعادة.

✍وهو دنيوي وأخروي، 💧أما الدنيوي، فهو انشغال القلب والبدن بالمعاصي، واللهث وراء الدنيا والملهيات وعدم التوفيق.

💧 وأما الأخروي، فهو أن يكون المرء من أهل النار –والعياذ بالله–، فإذا استعذت بالله من درك الشقاء، فأنت بهذه الاستعاذة تطلب من الله ضده، ألا وهو السعادة في الدنيا والآخرة.

✍فربّ بلاءٍ يقود إلى انحراف، وربّ نعمةٍ إن لم تُشكر تورث شقاء. فالعبد يسأل الله السلامة من الأسباب التي تجرّه إلى سوء العاقبة.

الثالث: الاستعاذة بالله من سوء القضاء، والمقصود أن يستعيذ العبدُ بالله من القضاء الذي يجلب له السوء والحزن. فإذا نزل به شيءٌ مما يُحزِن أو يُؤلِم، فعليه أن يصبر ولا يجعل البلاء سببًا لوقوعه في المعاصي والشرور، ولا يتصرف تصرُّفًا يُشمِت به أعداءه، ولا يُقدِم على شيءٍ مما حرَّم الله عليه. فإن الوقوع في المعاصي بسبب البلاء يُعدّ من سوء القضاء الذي يُبتلى به العبد. والله –جلَّ وعلا– يقضي بالخير والشر، وكلٌّ بقدره سبحانه؛ فالمعاصي والطاعات بقضائه وقدره. ولذلك يسأل المؤمن ربَّه أن يقيَه شرَّ القضاء الذي يفضي إلى المعاصي والشرور والشرك ونحو ذلك.

⬅فالواجب هو الصبر مع الإيمان بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره.

📁والمقصود به القضاء الذي يكون فيه فتنةٌ للعبد في دينه، أو ما يجرّه إلى معصيةٍ أو انتكاسة في الدين.... وفيه أدبٌ عظيم؛ إذ المؤمن يعلم أن كل قضاء الله خيرٌ من حيث حكمة الله، لكنه يسأل ربّه أن يقيه ما يكون فيه شرٌّ عليه في دينه أو دنياه.

✍ويدخل في الاستعاذة من سوء القضاء: أن يحميك الله من اتخاذ القرارات والأقضية الخاطئة التي تضرك في أمر دينك ودنياك، فإن من الناس من لا يوفق في اتخاذ القرار المناسب، وقد يجور في الحكم، أو

الوصية، أو في العدل بين أولاده، أو زوجاته، أو رعيته، أو من تحت مسؤوليته إذا كان وزيرا، أو رئيسا، أو مديرا.

الرابع: الاستعاذة بالله من شماتة الأعداء، فالأعداء يفرحون بما ينزل على الشخص من مكروه وسوء ومحنة، فينجرح القلب عندها، ويحزن ويبلغ من النفس أشدّ مبلغ، وقد يؤدّي إلى العداوة والبغضاء والحقد، وقد يُفضي إلى استحلال ما حرّمه الله –تعالى– من القتال والانتقام والتعدي والظلم؛ لهذا أستعيذ منه لخطورته.

☜والمرء في الغالب، لا يسلم ممن يعاديه، وَعَدُوُّكَ يَفْرَحُ إذا حصل لك ما يسوءُك، ويَغْتَمُّ إذا حصل لك ما يُفرِحُك، أو رأى نعمةً مُتَجَدِّدةً لك.

وقد كان عليه الصلاة والسلام يدعو: "اللهم لا تشمت بي عدوا حاسدا"[رواه الحاكم من حديث ابن مسعود وابن حبان من حديث ابن عمر].

✉وحكى الله –ﷻ– عن موسى –عليه السلام– أنه قال: " فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ".

✉وقيل لأيوب –عليه السلام–: أي شيء من بلائك كان أشد عليك؟ قال: "شماتة الأعداء".

✉وقال عبد الله بن أبي عتبة: "كل المصائب قد تمر على الفتى، فتهون غير شماتة الأعداء".

🡸فأنت بهذه الاستعاذة تسأل الله أن لا يفرح أعداءَك وحُسَّادَك بك، وأن لا يجعلك مَحَلَّ شماتةٍ وسُخريهٍ لهم، سواء كانت عداوتهم لك دينية، أو دنيوية.

📝وخطر الشماتة أنها: تسخط الربَّ –تبارك وتعالى–، وتدل على انتزاع الرحمة من قلوب الشامتين، وهي تورث العداوات، وتؤدي إلى تفكك أوصال المجتمعات، ثم هي تعرض أصحابها للبلاء.

📝فاحرصوا أن لا تكونوا من الشامتين، فالشماتة لا تليق بمسلم تجاه أخيه المسلم أبدًا؛ لأنها من صفات الأعداء الذين حذر الله منهم، ووصفهم بقوله: (إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) [آل عمران: 120].

✍فالشماتة من مساوئ الأخلاق؛ ولأن الإنسان قد يشمِت بأخيه فلا يلبث أن يُبتَلى بمثل ما ابتلي به غيره، فقد تشمت بمريض فتُبتَلى بالمرض، وقد تشمت بفقير فَتُبْتَلَى بالفقر، بل قد تشمت بمن ابْتُلي بمعصية؛ كالزنا، أو المخدرات، فَتُبْتلى بها –والعياذ بالله–.

بل المشروع أن تسأل الله العفو والعافية، في الدنيا والآخرة، قال الفرزدق:

إذا ما الدّهر جرّ على أناسٍ *** حوادثه أناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا *** سيلقى الشامتون كما لقينا

📝والذنوب من أقوى الأسباب الجالبة لجهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.

📄قال ابن القيم رحمه الله: «ولولا القواطع والآفات لكانت الطريق معمورة بالسالكين، ولو شاءَ الله لأَزالها وذهب بها، ولكن الله يفعل ما يريد، والوقت كما قيل سيفٌ فإن قطعْته وإلا قطَعك. فإذا كان السير ضعيفاً، والهمة ضعيفة، والعلم بالطريق ضعيفاً، والقواطع الخارجة والداخلة كثيرة شديدة؛ فإنه جهد البلاء ودرك الشقاءِ وسوء القضاء وشماتة الأعداءِ، إلا أن يتداركه الله برحمة منه من حيث لا يحتسب فيأْخذ بيده ويخلِّصه من أَيدى القواطع. والله ولي التوفيق».

📝وكثيرًا ما يسأل من كبَّلتهم الذنوب وأرَّقتهم الخطايا والمعاصي وأعاقتهم عن سلوك سبيل طاعة الله جل وعلا عن الأسباب المعينة لهم على الخلاص من الذنوب والفكاك منها للسلامة من عواقبها الدنيوية والأخروية، وكذلك من تنازعهم نفوسهم لفعل الذنوب والمعاصي بسبب كثرة المغريات وتنوّع دواعي الشهوات.

✉ولعلي أذكر ببعض الأمور المعينة لعبد الله المؤمن على الخلاص من الذنوب والفكاك منها:

■**فمن أعظم المعينات على الخلاص من الذنوب**: الحياء من الله جل في علاه ؛ فإن العبد إذا علِم بنظر الله إليه واطلاعه عليه، وأنه من الله بمسمع ومرأى ، وأن الله عز وجل لا تخفى عليه خافية ، استحيا من الله أن يراه حيث نهاه، وأن لا يراه حيث أمره .

■**ومن المعينات**: محبة الله جل وعلا الذي يجب أن تُعمر بها القلوب؛ فإن هذه المحبة من أعظم الروادع وأشدها دفعًا للذنوب، فإن المحب لمن أحب مطيع .

■**ومن المعينات**: الخوف من الله جل وعلا، ويحرك هذا الخوف في القلب: أن يكون على معرفة بالله وعظمته جل في علاه، وشدة انتقامه، ووعده ووعيده، ودار جزائه، وما أعد فيها من أنواع العقوبات.

■**ومن الأمور المعينة للعبد على الخلاص من الذنوب**: معرفة نعم الله -ﷻ-؛ فإن نعم الله جل وعلا تتوالى على العبد وتتوالى عليه في كل وقت وحين ، فلا يليق بعبدٍ أنعم الله عليه تتوالى أن يقابل هذه النعم بذنوبٍ تسخط المنعَم وتزيل النعم، وتجلب له جهدَ البلاء ودركَ الشقاءِ وسوء القضاء وشماتة الأعداءِ.

■**ومن الأمور المعينات على الخلاص من الذنوب**: النظر في عواقبها الوخيمة ومآلاتها الأليمة وأضرارها المتنوعة في الدنيا والآخرة .

■**ومن المعين على الخلاص من الذنوب**: شرف النفس وزكاؤها ورفعتها وعلوُّها؛ فلا يليق بصاحب نفسٍ شريفة أن يدنِّسها ويحقرها ويلوثها بأوضار الذنوب والمعاصي، {بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ}[الحجرات:11] .

■**ومن الأمور المعينة على الخلاص من الذنوب**: قصر الأمل ، وأن يستحضر العبد أن مدة المقام في هذه الحياة الدنيا لا تطول، فإن الآخرة مقبلة والدنيا مدبرة ، فلا أنفع للعبد من قصر الأمل ، ولا أضر عليه من التسويف وطول الأمل .

■**ومن الأمور المعينة للعبد على الخلاص من الذنوب**: تجنب الفضول؛ فضول المطعم والمشرب والمأكل والملبس وغير ذلك، فإن كثرة الفضول تمرض القلب وتعيق عن الوصول .

■**ومن الأمور المعينات على الخلاص من الذنوب والفكاك منها**: تجديد الإيمان ؛ فإن الإيمان بحاجة إلى أن يُجدَّد ، وفي الحديث المأثور عن نبينا ε أنه قال : ((إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ)) ، وإذا تجدد الإيمان في القلب أبعد عن النفس تعلقها بالذنوب وإقبالها على المعاصي، ودعاها إلى ما يقرِّب من الله ويدني من رحمته جل في علاه.

✉ولابد مع هذه الأسباب وبذل الوسع في الإتيان بها من أن يستعين بالله وأن يطلب المدد والعون منه جل في علاه ، وأن يصدُق في الدعاء وأن يحسن في الالتجاء ، وأن يكثر من الإلحاح على الله جل في علاه أن يقيه ويهديه ويصلحه ويزكيه ، فالتوفيق بيد الله وحده لا شريك له ولا رب سواه.

وأسأل الله -ﷻ- أن يوفقنا أجمعين لكل خير، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب.

وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.